آراء وافكار

زيارة مخطوط قديم

« ما هو المخطوط ؟ — هو التصريف للزهراوي الاندلسي »

تمهيد : — وقع نظري على مقالة الرصيف العلاّمة الاستاذ المغربي بعنوان : (زيارة مخطوط قديم) ولما كان قد كتب هذه اللفظة وألقاها محاضرة منذ نحو ثلاث سنوات اردت ان اقص على القراء خبر هذا المخطوط واكتشاف مؤلفه وما عرف عنه فأقول :

شوقني مقال الرصيف يوم تلاه في ردهة المجمع الكبرى علينا اثر محاضرة ألقيت فانتهزت الفرصة لزيارة السيد خورشيد افندي الشركسي ومشاهدة هذا المخطوط الطبي المصوّر حين كنت في دمشق . فذهبت عصر احد الايام انا والاستاذان السيد المغربي والسيد حسني الكسم قيّم دار الكتب العامة ، فزرنا السيد المذكور في بيته بمحلة الدرويشية وما وقعت عيني على الكتاب لما استأذنته لرؤيته واحضره بين يديّ الا وحرّكني حبّ الاستقراء ان أقلب ورقاته ورقة ورقة وأقف على رسومه ومباحثه ولكن بعجلة لضيق الوقت . ثم حاولت نقل بعض رسومه لأطبعها في محاضرتي (تاريخ الطب عند العرب) التي كنت انشرها في مجلة المعهد الطبي الدمشقي ثم اطبعها على حدة . فوقعت بين عاملين احدهما ان الرسوم كانت معوجّة غير متقنة فلا استطيع اخذها كما هي . والثاني اني احببت تقويم معوجها الذي لاحاجة الى عطفه ليظهر الرسم واضحاً مثلاً الآلات . فرسمت بعضها ثم اضطربت بالرسم لانني لست رساماً ولكن لي المام قليل بالنقل والتمثيل . فرأى السيد خورشيد اضطرابي وقصر الوقت وحبي الشديد لنقل امثلة كثيرة من الرسوم فسألني عن سبب انهماكي فأجبته انني مضطر الى نقل امثلة كافية من الكتاب لنشرها في محاضرة لي عن الطب العربي اطبعها على حدة ، فرأيت منه اريحية وطنية حملته على القول : انني أقدم هذا الكتاب للمجمع العلمي . فما كدنا نصدق حتى سلمنا الكتاب فحملناه كأنه وسام الظفر في موقعة كبيرة . وعدنا الى المجمع وصار الكتاب في حوزته اذ وضع في دار التحف لنفاسته . ولقد اشرت الى ذلك في محاضرتي المذكورة المطبوعة سنة ١٩٢٥ في الصفحة الـ ٢٦

الى الـ ٣٢ واصفاً الكتاب باختصار وناقلاً عنه بعض عمليات جراحية ورسومها مع آلات تمثل معرفة العرب لأدوات الجراحة وفنها المفيد · وصرحت ان الكتاب هو (التصريف لمن عجز عن التأليف) لابي القاسم الزهراوي الاندلسي ·

ثم لما القى الرصيف الطبيب اسعد بك الحكيم محاضرته في الطب العربي في المجمع اشار الى الكتاب وطبعت محاضرته في مجلة العرفان في صيدا ثم في مجلة المجمع هذه في مجلد السنة الخامسة الصفحة (٤٤٥) و٥٠١ فذكر كتاب التصريف في الصفحة ٥٠١ باختصار وبعث بعد ذلك الرصيف الدكتور احمد عيسى بك المصري أطروحته الى المجمع على اثر انتخابه عضواً مراسلاً فيه بعنوان : (آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب) مطبوعة بكراس فيه صور الآلات ومعظمها من كتاب الزهراوي هذا ثم نشرتها مجلة المجمع ايضاً في المجلد الخامس والصفحة الـ ٢٥٣ بصورها وفيها كلام مفيد عن كتاب التصريف هذا وصوره ·

وذكره كثير من الذين كتبوا عن الطب العربي من وطنيين ومستشرقين ولكن كل كلامهم لم يخرج عن كونه اخذ من كتب مترجمة باللغات الاوربية حتى انه لم يذكر احد منهم انه شاهد نسخة عربية مصورة للكتاب ولا طبعت نسخته العربية في ما نعلم ·

التصريف للزهراوي في الجراحة ومؤلفه : — ثبت لنا مما مرّ ان المخطوط الذي وصفه الاستاذ المغربي هو كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) لابي القاسم خلف ابن عباس الزهراوي المنسوب الى مدينة الزهراء الاندلسية المتوفى سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) وهو قسمان احدهما نظري والآخر عملي ترجم بعد ظهوره بقليل باللغة العبرانية وبلغة اهل كاتالونيا وهي المقاطعة الشمالية الشرقية من مقاطعات اسبانية (الاندلس) وطبعت ترجمته الكاملة باللاتينية في اوغسبورغ سنة ١٥١٩ · وطبع القسم الجراحي منه بالعبرانية مع ترجمة لاتينية في جزئين باكسفورد سنة ١٧٧٨ م باعتناء العلامة تشانغ وبقي نحو ستمائة سنة معتمد الجراحين في اوربة واسم مؤلفه عندهم (Albucasis) ·

وقد كتب الرصيف العلامة الكبير احمد زكي باشا في جريدة الاهرام مقالة ممتعة في الزهراوي وكتابه الجراحي مناظراً فيها العلامة الدكتور غريفيني · وصورة

الزهراوي في كنيسة ميلانو الكبرى (الكاندرائية) في ايطالية هو والرازي وابن سينا مرسومة على الزجاج القديم ونشرتها مجلة المشرق في السنة الرابعة والخامسة . ومن النسخ العربية المخطوطة في خزائن اوربة من هذا الكتاب نسخة برلين عدد (٦٢٥٤) (برنامجها ٥ : ٥١٠) وناسخها حميد بن رمضان سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٤ م) ولكن جعل وفاة المؤلف سنة ٤١٠ هـ وهو خطأ . ثم نسخة باريس عدد (٢٩٥٣) وقال انه توفي سنة ٥٠٠ هـ وهو الصواب . ونسخة ڤينا عدد (٥٢٥—٥٢٧) .

اما نسختنا العربية فهي قديمة بخط اندلسي مصورة فيها الآلات وموصوفة العمليات الجراحية وبعد ان يذكر العملية مفصلاً وما يعرض فيها للجراحي ويذكر الرأي الذي اعتمد عليه فيها واسم الطبيب الاختصاصي بها يصور بعض العمليات والآلات ويبين ما تؤخذ منه الآلات كالمعدن او العظم ونحوهما وفيها ١٥١ رسماً للآلات عدا العمليات .

ومما يستحسن ذكره عن هذا الكتاب انه كان في حوزة رجل طبيب اسمه الياس البيروتي في بيت بربريش او بزيش (كذا) وله على حواشي الكتاب تعاليق تدل على انه عمل بعض العمليات الجراحية على طريقة المؤلف ونجحت اما خطه فسقيم وذلك سنة ... وسبعين وثمانمائة :

وهنالك تعاليق أخر يذكر فيها (وفاة ميخائيل بن جرجس الطبيب) وهو على ما يظهر بيروتي ايضاً والخط هنا جميل .

وقد كتب اسمه بهذه النسخة (الحاوي في الجراحة) وهو خطأ . وقطعه الربع وهو يقع في ٢٩٨ صفحة بخط أندلسي يختلف ببعض حروفه عن الخط الشرقي وكذلك في التنقيط . وفي آخره من صفحة ٢٩٢ الى ٢٩٨ اوراق بخط حديث تتضمن فوائد في طب العين وجراحتها .

وكتب في الكتاب اسم السيد (عبد القادر عوده الطبيب بدمشق سنة ١٢٧٩ ومنه الى ولديه محمد واحمد عوده سنة ١٣٢٢[1]) مما يدل على انه كان في حوزتهم

(١) ان بني عوده من الاطباء الذين اشتهر بدمشق بعض افرادهم وآخر من عرفناه من أطبائهم المرحوم الدكتور حسين عوده وله بعض آثار طبية مطبوعة توفي في اول سني الحرب العامة في صيدا وهو من طلبة قصر العين بمصر .

واتصل بالسيد خورشيد ·

ابواب الكتاب ومواضيعه : — ان هذا الكتاب ثلاثة أبواب : (الباب الاول) في الكي بالنار والكي بالدواء الحاد وهو مبوب مرتب من الفرق الى القدم وصور الآلات والمكاوي وكل ما يحتاج اليه في العمل — وفي كيفية منافع الكي ومضاره وفي اي مزاج يستعمل في الزمان الذي يصلح فيه الكي · ومن مبادئه ان الكي بالذهب أفضل من الكي بالحديد · ثم فصل الامراض التي تكوى كالشقيقة ووجع الاذن واللقوة والسكتة والفالج والصرع واسترخاء جفن العين والاضراس والثنايا المسترخية والابط اذا انخلع رأس العضد والخطال والثآليل وتخلع الورك والفتوق والسرطان والبثر الحادث في البدن والنزف الحادث عند قطع الشريان وهو في ٥٦ فصلاً ·

و (الباب الثاني) في الشق والبط والفصد والجراحات في ١٧٧ فصلاً مثل علاج الشيرناق الذي يعرض في جفن العين الاعلى وقلع الاسنان ونحو ذلك ·

و (الباب الثالث) في الجبر اي جبر الكسر والفك الحادثين في العظام · وفيه عجائب العلاج والجراحة [1] ·

اما نسختنا ففيها خرم وهي تبتدئ من الفصل او الفن الرابع عشر في كي وجع الاضراس المبرودة واليك بعض ماجاء في عناوين فصوله :

(الفن ١٥) من قول مسيح في كي الخناز ير وصورة المكواة ·

(الفن ١٦) من قول بهنا الحبشي في كي بحوحة الصوت وصورة مكوانه ·

(الفن ١٧) من قول اندراس في كي مرض الرئة والسعال ·

(الفن ١٨) من قول ذكيانوس في كي الابط المنخلع ·

(الفن ١٩) من قول لقمان في كي المعدة عن برد ورطوبات ·

(الفن ٢٠) من قول بياذق في كي الكبد البارزة ·

(الفن ٢١) من قول دادا في كي ورم الكبد بالنار ·

(الفن ٢٢) من قول أفلاطون في كي الشوصة بنار بعود الزراوند ·

(١) هذا الملخص وصفه في برنامج خزانة برلين (٥ : ٥١٠) تحت عدد (٦٢٩٤) ·

(الفن٢٣) من قول المكهل في كي الطحال بالنار ·
(الفن٢٤) من قول الكاهن في كي الطحال بوجه غيره ·
(الفن٢٥) من قول بولس في كي الاستسقا الزقي ·
(الفن٢٦) من قول قزما في كي القدمين في حين استسقاء او ماء اصفر ·
(الفن٢٧) من قول زميله في الاسهال ·
(الفن٢٨) من قول ابن التلميذ في كي بواسير المقعدة ·
(الفن٢٩) من قول الحاوي في كي الثآليل بعد قطعها ·
(الفن٣٠) من قول ابن التلميذ في كي الناصور الذي في المقعدة ·

وهكذا عدد الاطباء الذي ائتمّ بآرائهم والكتب التي نقل عنهـا مثل الحاوي والحاكم ونون ويوناس وحزقيال وسيمون ونورنس ودمنكو البندقي وبولو القبرصي وجرجيس وسلسان الرومي وملا فارس وابي قرة وايلخا وشمشون الجبار والعيس وماهر واقليمنطس ويريز وميانوس وازدشير وجنديسابور (ولعله يريد مستشفاها) واندروماخوس وفاغوس وانوشروان وذور بابوهر وفيثاغورس وابن القف وفيقرا وجبرائيل وامين الدولة هبة الله بن جاعل وإليا وحريز وصهصه الهندي وروفس وذومقراطيس ومقيم وذمطريوس وابن ماسويه وباسا وهيرون والتميمي والمسعودي وعبدالله بن صالح وسفيان الاندلسي والغافقي وحبيش وابي الحسن والبصري والطبري والقمري والدمشقي ويهوذا الهاتري الاسرائيلي ويحيى بن زكري وسيقا والكافي وعبد اللطيف وعلي بن عيسى الكحال والشريف والفارابي والكندي والمغني والزهراوي والمنصوري وجنيد والبرشندي [1] وابراهيم بن المدبر واسحق بن عمران وابي الفرج وعبد الله الاندلسي وابي غانم الشيرازي والحجاج بن يوسف وملك النعمان (كذا) وابن بطلان وحريزالهندي وملك قيصر (كذا) والكوفي وعلي بن سينا وابي حنيفة والفهلوي والخزير وايوب وعضد الدولة ومحمد الرازي وابن ماسويه وابن ياسر وبهرمان وابن بيان وابن منهالي العذلي وشرف الدين طبيب الملك المسعودي وسليم وسلمون وابن جلجل

(١) الكلمة مضطربة وقد شطبت وكتب محلها بخط حديث (الياس البيروتي) ·

واحمد المالقي العشاب وابن البلقيني وابن صلاح في بعلبك وسلطان شاه وشيخ المذيذ وابن هيثم وابي اسحق الاندلسي وابي سهل المسيحي صاحب كتاب المائة وابن رشد وابن المدور وابن الدخوار وابن حراريقو وابن تمام وابن ترجمون بن المنذر وابن جزلة وابن رضوان الحاكمي وابي العلا بن زهر الخ ·

وهذه الاسماء تحتاج الى تمحيص اذ فيها تصحيف وتحريف لم نتمكن الآن من مراجعتها وضبطها · فلعل احد أطبائنا يتولى ذلك ·

وآخر فصوله(١٦٤) من قول ابي العلاء بن زهر في كسر العظام اذا كانت مع جرح · وصور جبار الفخذ وقال ان اسمها عتلة صغيرة و باليونانية (مرم) ·

ومما يفهم من تضاعيف مباحثه انه في الفن (١٣٨) من قول بيان (اوابن بيان) في الشق على المرض المعروف بالباقر وهو وجع يحدث في عضو ثم ينتقل الى آخر — ذكر هنا المؤلف قصة امرأة في البادية دعي لعلاجها ·

وفي الفن (١٣٩) = من قول ابن بيان في إخراج السهام التي تدخل في أعضاء الجسم وفصل ذلك ، فصور الآلات التي تستخدم لذلك وقال : الكلاليب التي تجذب بها السهام تكون أطرافها تشبه منقار الطير قد صنعت كأنها المرود وتنقش مثل المبرد اذا قبضت على السهام او على شيء لم تتركه وقد يصنع منه أنواع كثيرة كبار وزغار (وصغار) ومتوسطة كل ذلك على قدر صغر السهم وعظمه وسعة الجرح وضيقه ·

وفي الفن (١٤١) = من قول شرف الدين طبيب الملك المسعودي في فصادة العروق الباقية في الذراع خمسة عروق ··· — قال : واما العروق الثلاث التي تفصد في المرفق فهي التي جرت العادة بفصدها في الناس أجمع وفصدها يكون على وجهين اما غرز بمبضع ريحاني عريض او زيتوني الى الدقة · واما شق بمبضع سكيني وهو النشل ثم صورها وذكر في عروق الفصد — الاكحل والقيفال والباسليق والاسليم والصافن والنسا ·

والعمليات الجراحية ثلاثة اقسام : (اولها) الكي في كثير من الامراض وبعضها يوصف له الكي في عهدنا و (الثاني) العمليات بالمباضع والمشاريط والمقاريض واشباهها و (الثالث) عمليات تجبير العظام المكسورة والمخلوعة والموثوءة ·

اما الآلات فمنها مباضع ومشاريط ومجس الجرح المعروف بالمسبار وزراقات (محاقن) وقاثاطير للتبويل ومكاوٍ عدنية ومسبارية وكي ابتداء الحدبة وصنانير لاستخراج الدوالي وما ينشب في الحلق ومثاقب لقحف الرأس وعتلة صغيرة لجبار الفخذ وكلاليب لاستخراج السهام ومدافع بلوالب وبلا لوالب لاستخراجها ايضاً ومنقب لثقب العظم ومسعط لقطر الادهان والادوية في الانف وآلات لقطع سبل العين وآلات لجرد الاسنان اي تنظيفها ومقص وآلات لنشر الاضراس الزائدة ولبرد الاضراس وآلات لقلع الاضراس ولاستئصال أورامها ولقطع اللوزتين واستخراج الضفدع ولكبس اللسان الى أسفل ونحو ذلك مثل منظار الانف وغيره ·

هذا ما أمكن الآن ذكره عن هذا المخطوط النفيس الذي يجب نشره باللغة العربية مصوراً حفظاً لأصله وتذكاراً لاسلافنا الذين اعتنوا باشياء كثيرة اعتمد عليها الافرنج ونقلوها عنهم وحسنوها فالفضل لهم لتقدمهم جزاهم الله خيراً عداد حسناتهم ·

زحلة : عيسى اسكندر المعلوف
من اعضاء المجمع العلمي